طبائع البدو وآداب الإسلام

محمود عرفة محمود[1]
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

اشـتهر العرب قبل الإسـلام بالصفات والخلال الكريمة التى كان للطبيعة الصحراوية وشـدة الجدب وقسـوة الحياة أثرها فى تطبيعهم بها وغرسـها فى نفوسهم. وصارت وفرة الفضائل وتنوع المآثر من سمات التميز التى اصطبغت بها فطرتهم.

خلال البدو السامية:

كان من أهم صفاتهم الجليلة التى تغنى بها الأدباء والشـعراء على مر الزمان؛ المروءة وعلو الهمة والوفاء بالعهود والشـجاعة والفروسية والكرم الخيالى. فلم تكن خصلة عندهم تفـوق الكرم وإغاثة البائس الفقير[2]. وكان الكـرم اللامحدود يمثل إحدى مفاخرهم التى يحرصون عليها. فكانوا يتباهون بكثرة الأضياف وذبح الإبل وإطعامها المحتاج، لأن الميل الفطرى للعطاء هو من أهم سمات سـخاء العرب المشـهورة، والكريم عندهم هو من أعطى فحرم نفسـه وبذل من نصاب حاجاته الضرورية. فلما سـئل قيس بن سـعد: «هل لقيت أكرم منك؟ فأجاب: أجل؛ لأن المنح لا يسـتحق الثناء إذا كان المرء موفور النعمة، وإنما يسـتحق الثناء من أعطى من قليله». لقد وجد العرب فى فعل الخير شـرفًا يخلد على مر العصور، يتضح ذلك من رد حسان بن سهل على من قال له: «لا خير فى الإسراف، فقال حسان: لا إسراف فى الخير». ولما وجه الحسين بن على بن أبى طالب اللوم لعبد الله بن جعفر على إسـرافه فى البذل قال: «لقد عودنى الله أن يغمرنى، وعودته أن أغدق نعمه على خلقه، وإنى لأخشى إذا أنا هجرت عادتى، أن يهجر الله عادته». ولقد أقر الإسلام أخلاق الكرم والنجدة وإغاثة الملهوف، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[3].

(١) أستاذ التاريخ الإسلامى – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٠.

(٣) القرآن الكريم، سورة الإنسان: الآية ٨.

الواقـع أن إيـواء الغرباء وإطعامهـم بلا مقابل وهو ما يُعرف بالقِّـرى، يرجع إلى عادة قديمة وتقاليد جليلة تنسـب إلى النبى إبراهيم الخليل - عليه السـلام - ولقد ذكر القرآن الكريـم ما قام بـه النبى إبراهيم لإكرام ضيفه فى قوله تبـارك وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. وقـد احتذى العرب هذا المثل الكريم عن جدهم، وصار عندهم كرم الضيافة يضرب به الأمثال بعد أن انتشـر فى جميع أرجـاء الجزيرة العربية. وكان من أشـهر من اتصف بالكـرم من رجالات العرب كعب بن مناة، وقيس بن سعد، وأوس بن حارثة، وعبد الله بن حبيب العنبرى، وهرم بن سنان[2]، وحاتم الطائى - الذى قال لخطيته «ماوية» فى معنى الكرم[3]:

أماوى قد طال التجنـب والهجـر ... وقد عذرتنا عـن طلابكـم العـذر

أمـاوى إن المـال غـاد ورائـح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكـر

قال فى موضع آخر:

وإنى لعبد الضيف مـا دام ثاويـا ... وما فى إلا تلك من شيمـة العبـد[4]

كان مـن مظاهـر كرمهم إيقاد النيران ليلاً لتمكين الغربـاء من الاهتداء إلى الأماكن التى يقطنونها، وكانت النيران توقد على المرتفعات. وقد بالغ بعضهم فى الكرم فكانوا يستخدمون المندلى الرطب - وهى أعواد من العطر - حتى يهتدى بها العميان[5]. وعن إشعال النيران على المرتفعات يقول الشاعر:

له نار تشـب علـى يفـاع ... إذا النيران ألبسـت قناعـا

ولم يك أكثر الفتيان مـالا ... ولكن كان أرحبهم ذراعـا

وفضـلا عن ذلك كانـوا يجتذبون الغرباء إلى مواضعهم بنباح الـكلاب[6]، وكانت عادة معروفة عند العرب، فينبح الشخص الذى ضل طريقه، فتنبح الكلاب على نباحه فيهتدى

---

(١) القرآن الكريم، سورة الذاريات: الآيات ٢٤ - ٢٧.

(٢) ابن عبدربه: العقد الفريد، القاهرة، ١٩٢٨م، جـ ١، ص ٣٣٥.

(٣) الألوسى: بلوغ الأرب، ١٣١٤ هـ، جـ ١، ص ٤١٦.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ ١، ص ٣٣٥.

(٥) الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ١، ص ٤١٦.

(٦) الألوسى: المرجع السابق، جـ ١، ص ٥١.

إلى مكان الضيف، وفى ذلك يقول نابغة بن جعدة[1]:

عودى فى سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب أو لفزع قوم
فجاوبه متسمع الصوت للقرى ... له عند إتيان الملمين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف للقرى ... يكلمه من حبه وهو أعجم

ولقد حرص الإسلام على هذه الخصلة الكريمة، فقال النبى (ﷺ) مرشدًا المؤمنين إلى حب الخير: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفا»[2].

كانت الشجاعة والفروسية من المثل العليا عند العرب؛ ذلك أن حياتهم الرعوية البسيطة وقسوة الصحراء فرضت عليهم السمو الخلقى فصاروا يستهينون بالموت إلا تحت ظلال السيوف، يقول السموأل بن عاديا:

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

لما كانت حماية الضعيف والدفاع عنه هى شرع الفروسية؛ لذلك تنافس الفرسان فى مساعدة النساء والأرامل والأيتام والمغلوبين على أمرهم، وجعل كل منهم سيفه فى خدمة الحق والانتصاف للمظلوم من الظالم. ولقد استخدم فرسان العرب شجاعتهم أنبل استخدام فصارت رهن إشارة البائسين، ولم يكن من بينهم من يرفض حماية ضعيف أو الدفاع عن مظلوم استنجد به. وكان الضعيف إذا احتمى بالقوى ضمن له الحماية والأمان من نفسه، ومن أهله وعشيرته فى حياته وبعد مماته، وكان العرب يتباهون بكثرة من يلوذ بهم ويطلب حمايتهم. وكانت القاعدة عندهم حماية الجار بريئًا كان أم آثمًا حماية كاملة ضد الجميع مما أدى إلى تحملهم مسئوليات جسيمة، وجر عليهم مشاكل عديدة. وكان امتداد الحماية واتساع نطاقها يعنى المزيد من السمو وعلو القدر والمنزلة. فلما أقبل الشاعر الأعشى يومًا على علقمة بن علان سائلاً أن يكون فى حماه قبل أن يحميه من الإنس والجن، فطلب الأعشى أن يحميه من الموت أيضًا فاعتذر. فقصد الأعشى الشاعر، عامر بن طفيل، وسأله الحماية الكاملة، فوعد بأن يحميه ولو من الموت. فسأله الأعشى: وكيف أنت فاعل؟ قال:

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، جـ ٤، ص ١٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، جـ ٤، ص ١٤.

إذا أتـاك المـوت وأنت فى حماى دفعت لأهلك ديتك. فأعجب الأعشـى من هذا الجواب وأنشد يمدح عامرًا ويهجو علقمة.

ومما يجدر ذكره أن المرء إذا لم يجد فى طريقه رجلاً قويًا يحتمى به، كان يستجير بأى اسـم، فلما أوشـك بنو الحارث أن يقتلوا رجلاً يدعى خالدا، استجار بواحد منهم هو قس ابن الصمة، لكن قسا كان غائبًا ولم يفد ذلك خالدا، فلما عاد قس بعد فوات الأوان، غضب وعـاب على أهله ما ألحقوه به من الهوان، إذ بلغت الجرأة بهم أن يرفعوا أيديهم على من احتمـى باسمه[1]. وكان الرجل إذا ما تخلى عـن حماية الضعيف لحق به العار وصار رمزًا للمذلة والهوان – اللذين كانا يأنفهما العربى الحر.

قال المتلمس:

إن الهوان حمار الهـل يعرفـه ... والحر ينكره والرسالـة الأجـد

كان من أشـهر فرسـان العـرب، خالد بن جعفـر بن كلاب العامـرى، وعتيبة بن الحارث، وعامر بن الطفيل، وقيس بن معد يكرب، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، وقد وصف الأعشـى شجاعة قيس بن معد يكرب بالبسـالة والجرأة فى ميادين الحرب حيث كان يقاتل بدون ترس، وذلك أنه كان يقينًا أن الإنسان سيموت حتمًا فلكل امرئ أجل محتوم فقال[2]:

كنت المقـدم غيـر لابـس جنـة ... بالسيف تضرب معلمـا أبطالهـا

وعلمت أن النفس تلقـى حتفهـا ... ما كان خالقها المليك قضـى لهـا

ولقد أقر الإسلام الشجاعة والإقدام وجعلهما من صفات المؤمن بعد أن هذبهما وجعلهما فـى خدمة الحق ودفع العدوان فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

---

(١) الأصفهانى: كتاب الأغانى، ٢١ جزءًا، القاهرة، جـ ١٠، ص ٢٢٨.

(٢) شوق ضيف: العصر الجاهلى، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٣٤٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنفال: الآية ٤٥.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنفال: الآيتان ١٥، ١٦.

وتتجلى فروسية العرب ونبذهم للهوان والضيم فيما عرف عندهم بالاعتضاد، وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحدًا حتى الموت جوعًا، فكان يسترخص الحياة، ويقبل على الموت مترفعًا عن الدنايا والخساسة فى طلب الرزق، فإذا ضاق على أحدهم رزقه، حمل أهل بيته إلى موضع فضرب عليه وعلى عياله خباء حتى يلقوا جميعًا مصيرهم(١).

كان الحلم من أجلّ الصفات التي تدل على مكانة الفضيلة بين العرب، وهى تعنى الصفح والمغفرة عند المقدرة، فكان الحليم يستطيع التغلب على نفسه عندما يتغلب على عدوه. وبلغ من انتشار هذه الصفة الحميدة أن انتشرت بين العرب الأمثلة التى تؤكدها وتشجع على الأخذ بها فقالوا: «الكريم من يغفر الذنوب ويستر العيوب» و«إذا غلبت فكن عفوًا» و«لا عظمة مع الحقد»، وقد ورد فى القرآن الكريم ما يؤكد هذه الصفة الحميدة ويعضدها فقال الله تعالى:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٢).

كما كان التسامى عن الدنايا والنقائص يُعد من صفات العزة والكرامة ويتجلى فى الغض عن العورات، قال عنترة بن شداد:

وأغضُّ طرفى ما بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أتبع النفس اللجوج هواها

كانت عفة العربى هى شرفه، الذى يموت دونه وهمته التى تضطرم بين جنبيه، فقد عرف عندهم أن الرجل الذى يتأثر بالنساء فى مسيرهن ويجعل همه ابتغاء المهينات منهن جبان، ساقط الهمة، مغمور العرض؛ لأن مغالبة النفس وقمع الهوى أدل على الشجاعة، وكانوا يقولون: «ليس سيدًا من غلبته شهوته»(٣).

ولقد نمت هذه الصفة الحميدة فى ظل الإسلام وارتقت، فجاء فى قوله تبارك وتعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾(٤).

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٨م، جـ١، ص٤٣ – ٤٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٣) عبد الله عفيفى: المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، مصر، ١٣٤٠هـ، جـ١، ص٦٢ – ٦٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة النور: الآيتان ٣٠، ٣١.

علـى أن الوفـاء بالعهود وكراهة الغدر كانت من أعظم الصفات الملازمة للعربي، وكانوا يشهرون بمن يغدر منهم في المجتمعات العامة والأسواق الكبرى، حتى يلحقوا بخائن العهد العار. ولعل وفاء ابن زهير المازني الذي قتل أخاه لغدره بجارٍ له من أشهر قصص الوفاء عند العرب قبل الإسـلام، لذلك ارتفع الوفاء بالعهد إلى قدسية الدين، وبات من يحنث بوعده آثمًا يتعرض لازدراء النـاس ولعنة الله. ومن أجمل مظاهر التمسـك بالعهود أن الحروب المشتعلة بين عشائر العرب وقبائلهم، كانت تخمد عندما يهل شهر الهدنة وذلك بلا رقيب أو حاكم، فيعم الأمان أرجاء القرى والبوادى وتنقل السلع دون خوف أو حذر. فالعهد فى الصحراء كان يعنى النجاة، وكلمة الوفاء كانت تعنى الفخر والنبل والجلال. ولعل من أنبل صور الوفاء بالعهد حفظ السموأل بن عاديا أمانة امرئ القيس التى أودعها لديه، فلما أتاه الحارث بن أبى شمر الغسانى ليأخذ منه أدرع امرئ القيس امتنع السموأل، فأخذ الحارث ابنا له غلاما، وقال: إما أن سلمت الأدرع إلىّ وإما قتلت ابنك.

فأبى السـموأل أن يخون أمانته، فضرب الحارث وسـط الغـلام فقطعه قطعتين، فقال السموأل فى ذلك[1]:

وفيـت بذمـة الكنـدى إنـى ... إذا مـا خـان أقـوام وفيـت
وأوصى عاديـا يومـا بـأن لا ... تهدم يا سمـوأل مـا بنيـت
بنى لى عاديا حصنًـا حصينـا ... وبئرا كلمـا شئـت استقيـت

ولقد أوصى الإسلام بالوفاء بالعهود وشدد على الحفاظ عليها فى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[2].

وقصارى القول: إن الخلق العربى الأصيل قد حظى من الإسـلام بكل التشجيع والمؤازرة بعد أن رضيه الله تبارك وتعالى دينًا للمؤمنين وأساسًـا للسـلوك الاجتماعى الإنسانى، وقد أحله الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه محلاً ساميًا رفيعًا فقال: «بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فاسـتمر الخلق العربى الراقى شرفًا يتوج المؤمنين، فلم يكن ثمة تعارض بين ما كان عليه العرب وما جاء به الإسـلام إلا فيما يتعلق بالعصبية التى عرفها الإسـلام بحمية الجاهلية الأولى. وقد شهد لوبون بذلك حين قال: «إن أخلاق العرب فى الأدوار الأولى من

(١) الأصفهان: كتاب الأغانى، جـ ٢٠، ص ١٣٤.
(٢) القرآن الكريم، سورة النحل: الآية ٩١.

الإسلام أرقى كثيرًا من أخلاق أمم الأرض قاطبة ولاسيما الأمم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم، ورأفتهم وتسامحهم، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم، مما يستوقف النظر، ويناقض سلوك الأمم الأخرى»[1].

العادات الاجتماعية والإسلام:

ارتبطت أهم العادات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام بمعتقداتهم الدينية متأثرين فى ذلك بالطبيعة الصحراوية الموحشة، التى جعلتهم يؤمنون بوجود قوى خفية خارقة لها أثرها فى حياة الناس، ومقدراتهم وما يتعرضون له من خير وشر، ولذلك عمدوا إلى التقرب منها بالزيارات والقرابين والتضرع والتوسل والأدعية والصلوات التى تقام فى مناسبات مختلفة.

كان لهذا الاعتقاد الدينى أثره الروحى العميق فى نفوسهم مما جعلهم يؤمنون بقدرة المنجمين والسحرة على إمكانية السيطرة على هذه القوى الخفية وتوجيهها طبقًا لرغبات أصحاب الحاجات، لأن هذه القوى متغلغلة فى أجسامهم ومحيطة بهم فى كل مكان، وأنها ذات طبيعة نافعة ضارة تبعًا لتوجيه السحرة، ومما زاد من تأثر الناس بها أنها خفية غير مرئية، وأنها تستطيع إلحاق الأذى والضر بالإنسان فى كل مكان وزمان، ولا سبيل لاتقاء شرها سوى بمحاولة التقرب والتودد إليها عن طريق أولئك السحرة والمنجمين، بوسائط من الجن الذين يعيشون فى الظلام مستقرين، واسترضائهم لازمًا لدفع الأذى والضر عن الإنسان فتجلب له الخير والسلام. ويتجلى هذا الاعتقاد فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[2]، ذلك أن قريشًا جعلت بين الآلهة وبين الجن والوسطاء قرابة، وأنها تشارك الله جل جلاله قدراته، سبحانه وتعالى عما يشركون: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3].

كان من عادتهم التى ارتبطت بالجن، ضرب الثور، الذى يركب الجن قرنيه ليقتحم الماء عندما يمتنع البقر عن شرب الماء. وذلك لاعتقادهم أن الجن تصدت للبقر فتقحمها الشيطان – أخبث أنواع الجن – الذى ركب قرنى الثور[4].

---

(١) لوبون: حضارة العرب، عيسى البابى الحلبى، مصر، ١٩٦٤م، ص ٤٥٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الصافات: الآية ١٥٨.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٤) الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ٢، ص ٣٠٣.

كما اتخذوا وسائل من الأرواح التى تسكن أجساد أصنامهم – على زعمهم – لتوصيل رغباتهم إلى الآلهة، وذلك لاعتقادهم أن لها قدرات خارقة على إحلال الخير ودفع الأذى والضر عن الإنسان فضلاً عن توجيه الشر إلى أعدائهم، وكان الكاهن ذو القدرات والمواهب الخاصة هو الذى يستطيع القيام بذلك، فيتصل بها ويؤثر فيها حتى يستشف منها مستقبل الإنسان وما تخبئه له الأقدار. وكان السحر والكهانة منتشرين بين غالبية العرب فى قبائلهم وعشائرهم، مدنهم وباديتهم، وكان الكاهن يستقى الأخبار ويعرف المغيبات ويقرأ المستقبل بوسيط من الأرواح يعرف بالتابع، الذى كان يسترق السمع وينقل للكاهن ما سمعه[١]، ولقد سخر جهم الهذلى من هذا الاعتقاد فقال:

يظنان ظنا مرة يخطئانه وأخرى على بعض الذى يضعان

قضى الله أن يعلم الغيب غيره ففى أى أمر الله يمتريان

كان العربى يعتقد أن للكهنة أذهانًا حادة ونفوسًا شريرة وطباعًا نارية هى التى جعلت الشياطين تأنس لهم وتساعدهم بكل ما تصل قدراتهم إليه، لذلك كان للكهانة شأن عظيم فى حياة الناس، وصارت جزءًا من حياتهم اليومية لا يستطيع المرء أن يتحرك أو يقدم على عمل إلا بعد الرجوع إليها.ولما سئل النبى (ﷺ) عن الكهان؟ قال: «ليسوا بشىء». قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحيانًا بشىء فيكون حقًا. فأخبرهم الرسول (ﷺ): «ذلك من جهة الشياطين يلقون إليهم الكلمة فتكون حقًا فيزيدون هم معها مائة كذبة»[٢].

كان لكل قبيلة كاهن أو عدة كهان يرجع إليهم أفرادها لاستشارتهم فى كل أمر عظيم يقدمون عليه أو لمعرفة أسباب الكوارث التى تعرضوا لها، وكان الكاهن يتفق مع أصحاب الحاجات المتلهفين على قراءة المستقبل، على الحلوان، وهو المقابل الذى يتناوله الكاهن، ويعطيه للتابع لأن الحاجة تظل معلقة لا تتحقق إلا بدفع الحلوان، وقد نهى الرسول (ﷺ) عن «ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن»[٣]. على أن بعض الكهان كانوا قد ودعوا تابعيهم من الجن وآثروا إعداد قبائلهم للدخول فى الإسلام[٤].

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، العراق، ١٩٥١م – ١٩٦١م، جـ ٥، ص ٣١٣.

(٢) العينى عمدة القارئ، جـ ٧، ص ٣٥؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، جـ ٤، ص ٣٥٤.

(٣) القسطلانى: إرشاد السارى، مصر، ١٢٨٥هـ، جـ ٨، ص ٤٠.

(٤) السهيلى: الروض الأنف، مصر، ١٩١٤م، جـ ١، ص ١٣٧.

لم تقتصر الكهانة على معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل عن طريق تابع، بل استخدم الكهان وسائل أخرى فمنها العرافة والقيافة والزجر والطيرة والعيافة والأحلام والاستقسام بالأزلام وطرق الحصى والخط على الرمال والتفرس فى ملاحظة بعض أجزاء أجسام الحيوان أو الإنسان، فضلاً عن التنجيم.

ويختلف الكاهن عن العراف، فالكاهن يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الأزمان ويدعى معرفة الأسرار عن طريق التابع، أما العراف فهو الذى يدعى معرفة الشىء المسروق ومكان الضالة وذلك عن طريق دراسة مقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، ويرادف معنى العرافة التنجيم[1]. وكان العراف يتمتع بالذكاء والتفرس فى الأمور والتجارب وله ملكات ومواهب خاصة، يقضى ويتنبأ للناس بالملاحظة والاستنتاج بمراقبة الأشياء، ومن العرافين رباح بن عجلة - عراف اليمامة، والأبلق الأسدى - عراف نجد.

أما القيافة فيقصد بها التنبؤ والإخبار عن شىء بتتبع الأثر والشبه، وتنطوى فى بابها قيافة آثار الأقدام والأخفاف وحوافر الحيوان والطير للاستدلال على أصحابها، وقد اشتهر بنو مدلج وبنو لهب بالقيافة[2].

كما كانت الفراسة من أنواع الكهانة التى انتشرت فى بلاد العرب قبل الإسلام وهى الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله على صفاته وطبائعه. والعيافة هى التنبؤ بملاحظة حركات الطيور والحيوانات ودراسة أصواتها وقراءة بعض أحشائها. ولذلك أطلق على العائف اسم الشاق، لأنه يشق بطون الحيوانات والطيور لدراسةأحشائها واستخراج الخبر مما يراه على تلك الأحشاء من ألياف. واشتهر بنو أسد بالعيافة، وكذلك بنو لهب - وهم حى من الأزد، منهم لهب بن أحجم بن كعب وهو الذى تكهن بمقتل عمر بن الخطاب قبل وقوعه بعام[3]. وقد أجمل ابن خلدون تعريف الكهان بصنوفهم المختلفة بقوله: «هم الناظرون فى الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان»[4].

---

(١) الزبيدى: تاج العروس، مصر، ١٣٠٦هـ، جـ ٦، ص ١٩٣.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، طبعة جوتنجن، ١٨٥٤م، ص ٢٨٨.

(٣) السهيلى: الروض الأنف، جـ ١، ص ١١٨.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٠٧.

يعد الاستقسام بالأزلام[1] – الذى عرف طريقه إلى عادات الناس الاجتماعية – إحدى طـرق التنبـؤ، وكان يتم ذلك أمام الأصنام حتى يكون تعبيرًا عن مشـيئة الآلهة وإرادتها، كمـا أن بعـض الكهان كانـوا يحملون الأزلام على أكتافهم يستقسـمون بها فى الأسـواق والمجتمعات العامة خاصة أيام الأعياد. وكان القائم بالاستقسام يتقاضى أجرًا معلومًا يصل إلى مائة درهم عند سدنة هبل[2]. وكان الناس يتفاءلون بالأزلام، وصارت جزءًا من حياتهم اليومية فكانوا يرجعون إليها فى حالات السفر أو العمل أو الزواج أو دفع الديات فضلاً عن التثبت فى الأنسـاب المشـكوك فيها، وقد ورد ذكرها وتحريمها فى القرآن الكريم فى قوله تبـارك وتعـالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[3].

كان الطـرق – وهو الضرب بالحصى – من عاداتهم الاجتماعية، وكان يقوم به الطراق من الرجال والنساء للكشف عن المستقبل، وذلك بأن يخط الطارق خطوطًا كثيرة بسرعة على الأرض ثـم يمحو على مهـل خطين خطين، فإن بقى خطان فهما علامة الرضى والنجاح، وإن بقـى خط واحد فهو علامة الهيبة. ومنهم من كان يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليها بشـعير أو نـوى، ويتمتم بحاجة المريد، فإن أصيب خط واحـد وبقى خطان كان الفلاح، وإن أصيب خطان وبقى خط واحد فهو علامة الفشل والتشاؤم. وقد سخر أحد الشعراء من الطرق بالحصى وهو لبيد بن ربيعة فقال[4]:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصـى ولا زاجرات الطيـر مـا الله صانـع

أمـا الزجر فهو رمى الطيور بحصاة ثم يصيـح الرامى ليفزعها ويزجرها وعندئذ يراقب حـركات طيرانها؛ فـإن تيامنت – أى اتجهت يمينًا – تفاءل وخرج لقضاء حاجته، وإن

(١) الأزلام: هى أسـهم مكتوب على بعضها افعل والباقى لا تفعل، فإذا جاء أحد يريد الاستقسـام أجال السـادان الأزلام فما يخرج يعمل به.

(٢) ابن الكلبى: الأصنام، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م، ص ٢٨.

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة: الآية ٣.

(٤) الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ١، ص ٣٣٠.

تياسرت – أى اتجهت يسارًا – تشاءم به. وقد عرف الزجر بالطيرة وذلك لاعتماد الزاجر على الطيور فى زجرهم[1]. وقد انتشر التطير فى حياة الناس فصار يشمل الحيوان والأسماء والكلمات والأعداد، كما تطير البعض بذوى العاهات وذوى القبح الشديد، واعتبروهم نذير شؤم فكانوا يتجنبون الالتقاء بهم. يقول الجاحظ: «حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا عندها. كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال»[2]. ويعلق على ذلك بقوله: «وأن التطير من الطير إذا مر بارحا (ميامنا) وسانحا (مياسرا) أو رآه يتفلى أو ينتف، فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك فى كل شىء... فسمت العرب المنهوش بالسليم، والبرية بالمفازة، وكنوا الأعمى أبا البصير والأسود أبا البيضاء، وسموا الغراب بحاتم، والغراب أكثر من جميع ما يتطير به فى باب الشؤم»[3]، وقد سخر العقلاء من التطير كما جاء فى قول النابغة:

تعلم إنه لا طير إلا ... على متطير وهو الثبور
بل شىء يوافق بعض ... شىء أحايينا وباطه كثير

وقول المرقش:

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا ... من، والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا ... شر على أحد بدائم

وقد نهى الرسول (ﷺ) عن التطير بقوله: «اقروا الطير على مكناتها، لا تطيروها ولا تزجروها»[4].

كذلك تطير العرب بقراءة أحشاء الحيوانات، وبخاصة الكبد، لأنه فى نظرهم موطن العداوة ومقر الحقد، فكان يقال للأعداء سود الأكباد لأن الحقد أحرق أكبادهم حتى أسودت[5].

---

(١) الزبيدى: تاج العروس، جـ ٣، ص ٣٦٤.
(٢) الجاحظ: الحيوان، القاهرة، ١٩٣٨م، جـ ٣، ص ٤٣٧.
(٣) الجاحظ: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٣٨.
(٤) الجزرى: جامع الأصول، جـ ٨، ص ٤٥٢.
(٥) ابن منظور: لسان العرب، جـ ٤، ص ٣٧٨.

واشـتهر عند العرب التطير بالمرأة، فقيل: «لا عدوى ولا طيرة، إنما الشؤم فى ثلاث، فى (الفرس والمرأة والدار)»[1].

وكانوا فى اعتقادهم يتغلبون على شؤم ناصية المرأة وعتبة الدار بالذبائح، فمن تقاليدهم ذبح عدة ذبائح عند زفاف العروس إلى زوجها ووصولها إلى عتبة الدار طردًا للأرواح الشريرة وإرضـاء لها، وكان من عاداتهم أيضا الذبح على عتبة الدار الجديدة، وتعرف هذه الذبائح بذبائح الجان[2].

كان العرب يتشـاءمون أيضا من بعض الطيـور والحيوانات ومن أهمها البوم والغراب، والحيوانات ذات العاهات، فكانوا يقولون ليس فى الأرض شـىء يتشـاءم به إلا والغراب أشـأم منـه. وغالبيتهم يتطـير إذا صاح الغراب صيحة واحـدة، إلا إذا ثنّى تفاءلوا. وعند غيرهم إذا صاح صيحتين فهو شـر، وإذا صاح ثلاث مرات فهو الخير[3]. وقد اشـتقوا من اسمه الاغتراب والغربة والغريب لتشاؤمهم منه، واعتبروا أكل لحمه عارا لأنه يأكل الجيف والقاذورات[4]. وأشـد ما يتشـاؤمون بالغراب إذا ولاهم ظهره أو شماله[5]، أو أبصروه يتفلى وينتـف، كذلك أمر الجـراد عندهم لأنهم تنظروا منه الجرد، ولأنـه مختلف الألوان فهو عندهم كحوادث الزمان[6].

أما البوم فكان من أسباب التشاؤم بها منظرها الكئيب وصوتها الحزين وظهورها فى الليـل، وقـد وصفوها بأم الخرائب[7]، ولذلك اعتقـدوا أن روح الميت المرفرفة على القبر هى البوم.

وكانوا يتطيرون من الثور الأغضب (المكسور القرن) ومن الحية والثعلب، فلحركات هذه الحيوانات ولأصواتها أثر فى التنبيه بوقوع الشر[8].

(١) العينى: عمدة القارئ، جـ ٢١، ص ٢٨٩.
(٢) الزبيدى: تاج العروس، جـ ٢، ص ١٣٨.
(٣) الجاحظ: الحيوان، جـ ٣، ص ٤٥٧ – ٤٥٨.
(٤) الجاحظ: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٣٩.
(٥) ابن سيده: المخصص، جـ ١٣، ص ٢٤.
(٦) الجاحظ: الحيوان، جـ ٣، ص ١٣٦.
(٧) الدميرى: حياة الحيوان، جـ ١، ص ١٨١.
(٨) الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ٢، ص ٣٣٨.

ومن ناحية أخرى كان العرب يتفاءلون بالهدهد فهو عندهم آية اليمن وسبيل الهداية. وكانوا يعتقدون أنه كان يدل النبى سليمان – عليه السلام – على مواضع الماء فى أعماق الأرض[1]. على أن العرب بصفة عامة كانوا يعتقدون أن الطيرة والفأل مكتوبان على الإنسان، وأن حياته ومصيره مقرران[2].

لاشك أن البيئة الصحراوية القاسية هى المؤثر الحقيقى فى تطيرهم، لأنهم كانوا كثيرا ما يتعرضون للكوارث ويبتلون الناب والمخلب وباللدغ واللسع والعض والأكل والافتراس، فخرجت بهم الحاجة إلى تعرف الجانى والجارح والقاتل وكيفية الطلب والهرب[3].

كذلك تعلق الناس بالسحر والسحرة لاعتقادهم بقدرتهم على القوى الخفية لتجنب الأذى وتحقيق الخير، وصار السحرة مكانة كبيرة بين الناس وبخاصة النساء، فاستعانت المرأة بالحسد للتأثير فى قلب الرجل والاستئثار به دون باقى زوجاته، واستعانت المرأة به للتفريق بين الرجل وزوجته حتى تحصل عليه. وقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[4].

قسم ابن خلدون السحر إلى ثلاثة أنواع فقال: «السحر بالمعنى المفهوم عند الفلاسفة هو: التأثير بالهمة من غير آلة ولا معين، والطلمسات وهى التأثير بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعداد، والشعبذة والشعوذة وتكون بالتأثير فى القوى المتخيلة، والتصرف فيها بقوة نفس الساحر المؤثرة، حتى يرى الرائى شيئًا فى الخارج وليس هناك شيء»[5].

---

(١) الجاحظ: المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٢) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٥، ص ٣٣٤.

(٣) الجاحظ: الحيوان، جـ ٦، ص ٢٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٥) انظر: المقدمة، ص ١٠٨.

كان السحرة يستخدمون بعض النباتات والأعشاب لاستخلاص المادة الخاصة بعملهم، أو الاستعانة ببعض الجمرات ووضعها فى طريق مرور الشخص المراد التأثير فيه، وذلك بعد القراءة عليها، كما استعملوا السلوانة وهى عبارة عن مسحوق يتخذ من تراب قبر أو خرز يقرأ عليه ثم يغتسل به الإنسان، وقيل: إنه يطرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى.

قال الشاعر[1]:

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفيانى

فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة إلا بها سقيانى

كذلك استخدموا السحر فى الاستمطار، وذلك لأهمية الماء فى جزيرة العرب القاحلة. وقد أبطل الإسلام عادة الاستمطار وأحل محلها صلاة الاستسقاء[2].

أما استخدام السحر فى الأذى، فكان يتم بالنفث فى العقد، الذى أشار إليه القرآن الكريم فى سورة الفلق قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[3]. وكانت المرأة تأتى بخيط أو وتر وتقرأ عليه شيئا مبهم القول، وبينما هى تتمتم تعقد العقدة[4]. ويرى المفسرون أن لبيد بن أعصم اليهودى كان يستخدم بناته الساحرات فى النفث فى العقد، وكانت بناته بعد أن يتم لهن النفث فى العقد يقمن بدس الخيط فى بئر بنى زريق، وهى بئر ذروان تحت حجر أسفل البئر، وكانت عادتهم دفن السحر فى معطن من الأرض، فلا تزال الجن موكلة بإذن المسحور به مادام الخيط فى موطنه[5]. فلما استخرجوا السحر من بئر ذروان وجدوا مشاطة رأس، وأسنان مشطة، وإذا فيه خيط معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر.

كذلك كان السحرة يستخدمون أوراق بعض النباتات وخلطها مع الملح والبخور والدماء والعظام وقرون الحيوانات ثم حرقها وإذابتها فى الماء أو دفنها، وفضلاً عن ذلك كانوا

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٥، ص ٣٤٠.

(٢) العينى: عمدة القارئ، جـ ٧، ص ٢٤.

(٣) سورة الفلق.

(٤) القسطلانى: إرشاد السارى، جـ ٧، ص ١٤.

(٥) Perron: Femmes Arabes, p. 165.

يعمدون إلى التنفير وذلك باستخدام كل ما ينفر ويقزز لطرد الأرواح الشريرة من الأماكن والأشخاص، ومن ذلك استخدام عظام الموتى وبعض أجزاء من عظم الحيوانات أو مخالب الطيور، التى كانوا يتشاءمون منها. ومن ناحية أخرى ينصحون روادهم بحمل الحمائل وتعليقها فى الجبهة للحماية ودفع الأذى أو لمنح البركة والتوفيق والنصر فى الحرب، وكانت الحمائل على صنفين؛ الطبيعى ومنها أنواع معينة من الأحجار أو النباتات أو المعادن النادرة وقد يكون جزءًا من إنسان أو حيوان. والصنف الآخر معمول وهو الحمائل المكتوبة أو المنقوشة أو المصورة، وهى التى كتبت أو نقشت بأسلوب خاص يمتاز بالغرابة والغموض مع تذييلها بأجزاء من الكتب المقدسة أو الأدعية أو أسماء الآلهة أو الجن أو الملائكة. والحمائل هى ما كان يعرف عند العرب بالتمائم.

وكانت الرقية من أشهر عاداتهم الاجتماعية فى مداواة بعض الأمراض المستعصية، وخاصة فيما يتعلق منها بالعصبية مثل الحمى، والصرع، ولدغات العقارب والحيات، ويتم ذلك بقراءة شيء على المريض ثم النفث عليه. فضلاً عن ذلك استعملتها المرأة العربية بكثرة، لاعتقادها أن الخرز له أثر فى إصلاح أمرها من اجتلاب خير أو دفع مكروه، وكانت تقرأ عليها كلمات أعدها السحرة لهن، ومن أنواع الخرزات الهِنَّمَة[1]، والدردبس[2]، وكرار[3]، والقبلة[4]، والصرفة[5]، والعطفة[6]، والينجلب[7]، وكان رقاهن لتأليف القلوب هوابة. هوابة البرق والسحابة أخذته بمركن فحبه تمكن. أخذته بإبرة فلا يزل فى عبرة. جلبته باشفى فقلبه لا يهدأ. جلبته بمبرد فقلبه لا يبرد.

كذلك كانت المرأة العانس تقوم ببعض العادات من أجل إيجاد خطيب لها، فمن ذلك نشر جانب من شعرها وتكحيل إحدى عينيها وتكحيل إحدى رجليها على أن يكون ذلك

(١) الهِنَّمَة: خرزة تجتذب بها المرأة قلب زوجها. ابن منظور: لسان العرب، جـ ٦، ص ٤٧١٢.

(٢) الدردبيس: خرزة سوداء تتحبب بها المرأة إلى زوجها.

(٣) كرار، خرزة يؤلف بها نساء البادية قلوب رجالهن. ابن منظور: لسان العرب، جـ ٦، ص ٣٨٥٢.

(٤) القبلة: خرزة نساء الأعراب ورقيتها، يا قبلة أقبليه.

(٥) الصرفة: خرزة يصرفن بها الرجال إذا قست قلوبهم.

(٦) العطفة: خرزة يعطفن بها الرجال إذا قست قلوبهم.

(٧) الينجلب: خرزة يتخذنها للرضا بعد الغضب. الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ٣، ص ٧٠٦.

ليـــلاً، ثـــم تقول: يالكاح، أبغـــى النكاح قبل الصباح. وكان يجـــب عليها أن تلبس خرزة القرزحلة[1]، وقد سخر منها أحد الشعراء بقوله:

لا تنفع القرزحلة العجائـزا   إذا قطعنا دونهـــا المفـــاوزا

ومن عاداتهم الاجتماعية أن يعقد الرجل طرفًا من غصن الشجر بطرف غصن آخر لقياس حفــظ امرأته لنفســـها وعدم خيانته. ومن ذلك أيضًـــا أن أحدهم إذا أراد دخول قرية واتقاء وتجنـــب وبائها، فعليـــه أن يقف على بابها ثم ينهق نهقة الحمـــار، ثم يعلق عليه كعب أرنب، ثم يدخل الموضع المراد دون حذر[2]؛ وذلك لاعتقادهم أن كعب الأرنب ينفى جنان الدار وشيطان الحماطة[3] وغول القفر. كما استملوا سن الثعلب، فمن ذلك أن جنية أرادت صبيًا فلم تقدر عليه، فلما سئلت أمه عن ذلك، قالت: كانت عليه نفرة ثعالب وهررة.

تلـــك كانـــت أهم طبائع البدو وتقاليدهم الســـامية التى تعرض لهـــا البحث، فضلاً عن مثالب العادات الاجتماعية وتبيان أثر الإسلام فى الإبقاء على الخلال الكريمة والقضاء على ما يتنافى مع الفطرة الإنسانية.

❑❑❑

(١) ابن منظور: لسان العرب، القاهرة، ١٣٠٠هـ – ١٣٠٧هـ، جـ ٥، ص ٣٥٨٤.

(٢) الألوسى: بلوغ الأرب، جـ ٢، ص ٣٤٨.

(٣) الحماطة: شجرة شبيهة بالتين تأوى إليها الحيات.